ورطة يهود اليمن فى اسرائيل

للأستاذ عمر حليق

تواجه الدولة اليهودية اليوم مشكلة داخلية أولدتها هجرة يهود اليمن إلى إسرائيل . ونستعرض فيما يلى أوجه هذه المشكلة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ ومصادر هذا التقرير عديدة توفرت لنا هنا من هيئة الأمم فى نشرات وبحوث مختلفة ، بعضها يهودى والبعض الآخر من تحريات المراسلين الأجانب

توطئة :

قامت دائرة الأبحاث الشرقية فى الجامعة العبرية بالقدس بدراسة تاريخ اليهود فى اليمن وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية إلى ما قبيل عملية الترحيل التى قامت بها القيادة الصهيونية العالمية — هذه العملية التى سميت « بساط الريح » نظرا للسرعة الفائقة التى تمكن بها أعوان الصهيونية فى محمية عدن من نقل عشرات الألوف من يهود اليمن على متن القلاع الجوية الطائرة فى مدة لا تتجاوز بضعة أسابيع

ونحن ننقل فى هذه التوطئة ملخص هذه الدراسة على علاتها . تقول هذه الدراسة إن يهود اليمن كانوا يستوطنون بقعات مختلفة من البلاد اليمنية بلغ عدد جالياتهم فيها حوالى ٨٠٠ بين صغيرة وكبيرة ومتوسطة العدد

وكان جزء من يهود اليمن قد استقر هناك منذ الأجيال التاريخية القديمة، وكان الجزء الآخر — وهو الأقل عددا — قد هاجر من الشواطئ الإفريقية المجاورة أو نزح من أعالى بلاد الشام والعراق بقصد التاجرة مع اليهود الأصليين فى اليمن السعيد

ويعرف يهود اليمن بتعلقهم بمذهبهم على الطريقة التقليدية ، وقد خالط يهوديتهم بعض الدخائل الوثنية ولكنهم مع ذلك بقوا من أشد الجاليات اليهودية تعلقا بالعادات والتقاليد القديمة

وكان يهود اليمن يتكلمون العربية طبعا ، ولكن عربيتهم كانت تختلف إلى حد كبير عن العربية التى يتكلم بها يهود العراق مثلا

حياة يهود اليمن الاقتصادية :

استعرضت « المجلة الجغرافية الأمريكية » فى مجلد عام ١٩٤٧ نصيب يهود اليمن من الحياة الاقتصادية هناك فقالت إن طبيعة المناخ الجبلى والسهول الخصبة فى ربوع اليمن قد ساعدت على نشوء تجارة وصناعة محلية سيطرت عليها الجاليات اليهودية هناك سيطرة تامة وفرت لها بعض الرخاء المادى على نحو يفوق ما كان متوفرا لأكثرية اليمنيين العرب . وقد شرح كاتب يهودى — كانت الجمعية الصهيونية العالمية قد أرسلته إلى اليمن قبل مأساة فلسطين بسنتين — الوضعية الاقتصادية ليهود اليمن فى كتاب أسماه « ابن سفير » فقال — « لا تخلو منطقة من المناطق اليمنية التجارية والزراعية من جالية يهودية تتحكم فى الوضع الاقتصادى للمنطقة . فقد كانت معظم حوانيت البيع فى يديهم . وفى يدهم تركزت صناعة الجواهر والسلع التجارية المحلية والخارجية . وكان يهود اليمن على اتصال مستمر مع يهود العالم الخارجى عن طريق محمية عدن مما وفر لهم توسيع نشاطهم التجارى بحيث شمل الداخل والخارج . ولم يقتصر تركز يهود اليمن الاقتصادى على التجارة والصناعة وأعمال المصارف (القروض والربا والرهن) وإنما شمل احتلال الأراضى الزراعية والسيطرة على مصادر المياه والتحكم فى توزيعها على صغار المزارعين اليمنيين العرب فى القرى والمساكر . ومع ذلك لم تنشأ فى اليمن أزمة يهودية كما نشأت فى بلدان أوربا مثلا . وسبب ذلك سماحة الإسلام وما طبع عليه المسلمون من إكرام للغرباء والصبر على المكاره . ولم يكن ملاك اليهود فى اليمن قائمين على الزراعة بأنفسهم ، وإنما كانوا يؤجرون الأرض للمزارع اليمنى وينالون من أتعابه نصيبا كبيرا مما ساعد على تركز جزء كبير من الثروة الزراعية والنفوذ الاقتصادى فى أيديهم »

وفى عام ١٩٤٦ زار اليمن مبعوث أرسلته لجنة التوزيع اليهودية الأمريكية المشتركة « وبعث بتقرير إلى مرءوسيه فى نيويورك قال فيه » : إن يهود اليمن بالرغم من العزلة الجغرافية التى

كانت تحيطهم استطاعوا توحيد جهودهم وتنظيم وحدتهم المذهبية والطائفية وتبادل التجارة والمنفعة الاقتصادية فى أسلوب لم يثر حفيظة اليمنيين العرب، وذلك لأن هذا التنظيم والتكاتف كان محاطا بالسرية الدقيقة، وكان يلاقى معونة مادية وأدبية من المنظمات اليهودية العالمية فى بريطانيا وأمريكا والعراق ومصر وغيرها من الأمصار التى كانت للجاليات اليهودية فيها نفوذ وقوة عالية وسياسة بالغة »

وكانت حلقة الاتصال بين يهود اليمن وبين هذه المؤسسات اليهودية الخارجية وكر يهودى اتخذ مدينة عدن مركزا. وكان هذا الوكر معروفا للحاكم البريطانى فى عدن الذى كان يرعاه ويحنو عليه لا بدافع العطف فحسب؛ بل بدافع المنفعة المادية التى كان هذا الوكر يغرقها بسخاء على الموظفين البريطانيين فى جنوبى شبه جزيرة العرب

ولقد كان هذا الرخاء الاقتصادى وهذا التنظيم الداخلى، وهذه المعونة الخارجية (اليهودية والبريطانية) التى توفرت ليهود اليمن — كان هذا كله من أهم العوامل التى حفظت ليهود اليمن كيانهم سالما لم يتأثر مطلقا فى ناحيته السياسية أو المالية أو الدينية. ولذلك حرص اليهود على السكنى متجاورين معاملة بعضهم مع بعض وستر اجتماعاتهم وإخفاء تدابيرهم عن أعين اليمنيين المسلمين. وهذا هو السر الذى حقق لليهودية العالمية سرعة نقل يهود اليمن إلى فلسطين فى دقة فائقة؛ إذ أن هذه السرعة كانت مسبوقة باستعداد داخلى وتنظيم دقيق مستتر عن طريق الوكر اليهودى المنظم فى محمية عدن

وقد كان من ألوان هذه المخادعة التى ستر بها يهود اليمن خططهم للرحيل إلى فلسطين تفاديهم الظهور بمظهر الباذخ الثرى، فقد كان أغنياؤهم حريصين على أبسط الثياب والسكنى فى بيوت ظاهرها لا تأخذه العين وإنما تتجمع فى داخلها ثروات من المال والجواهر والسلع الغالية الثمن. ولم يكن فى اليمن ما يدفع اليهود إلى هذا اللون من الخداع إلى ما كانوا يضمرونه من خطط للمستقبل، فلم تكن الحكومة اليمنية متعسفة فى معاملتهم ولم يسبق لملى اليمن أن اعتدوا على يهودى بغير حق

كتب أحد عملاء الصهيونية الذين زاروا اليمن قبيل هجرة اليهود منها فى مجلة « كومانترى » الأمريكية اليهودية فى عدد يوليو سنة ١٩٥١ ما يلى :

« لم أسمع من يهودى اليمن فى مساورتى لهم سوى المديح لجيرانهم المسلمين. فلم يحدث فى تاريخ اليمن أن أحرق كنيس يهودى أو انتهكت له حرمة. وكانت معابد اليهود تضاء وتحلى بألوان الزينة تحت أعين اليمنيين المسلمين وأبصارهم. وكان هؤلاء المسلمون يقدرون عنصر التوحيد فى الديانة اليهودية حق تقديره، ولم تنشأ فى حاضر اليمن أو قديمها أى حركة نوخت الحد من الحرية الدينية والاجتماعية للجاليات اليهودية هناك. وكان حاخامو اليمن يلقون بعض العون المادى من حكومة جلالة الإمام اليمانى. ومن الأدلة على سماحة المسلمين فى هذه الأيام أن الجاليات اليهودية هناك كانت تحتفظ بنسخ من التوراة يرجع عهدها إلى مئات السنين فى حين أن مثل هذا الإرث الدينى قد أعدم مراراً فى أوروبا الشرقية والغربية خلال القرون الوسطى وفى التاريخ المعاصر »

« وكتب يهودى آخر فى مجلة « كومنترى » نفسها قال :

« إن خلو حياة يهودى اليمن من الاضطهاد المحلى لم يمنعهم من الانقسام إلى « طوائف » متخاصمة. فقد كانت بعض الجاليات اليهودية لا ترضى بزعامة بعض الحاخامين من الجاليات الأخرى؛ وهذا الأمر كثيرا ما أولد بينهم الشقاق وطالما لجأت هذه الجاليات اليهودية إلى الحكومة اليمنية أو إلى الأئمة المسلمين فى اليمن بغية التوسط فى وضع حد لمثل هذه الخلافات الطائفية بين اليهود أنفسهم .. ومع ذلك لم يكن هذا الشقاق ليحول دون تكاتفهم (يهود اليمن) على الخطط التى وضعتها لهم القيادة الصهيونية العالمية للرحيل عن اليمن السعيد والامتثال لتعليمات مبعوثى تلك القيادة الذين كانوا يتخذون وكر الصهيونية فى محمية عدن مركزا لهذه الخدعة الكبرى »

* * *

والآن وقد أنتجت هذه الخدعة الكبرى ثمارها وتم رحيل

١٠ - فى الحديث المحمدى

للأستاذ محمود أبو رية

كعب الأحبار وعمر :

لما قدم كعب الأحبار إلى المدينة فى عهد عمر بن الخطاب مظهراً إسلامه أخذ يعمل فى دهاء ومكر لما أسلم من أجله، وكان مما وجه إليه همه أن يفترى الكذب على النبى صلوات الله عليه ولكن عمر فطن لكيده فنهاه عن الرواية عن النبى وتوعده أن يلحقه بأرض القردة

وعلى أن عمر قد ظل يرقب هذا الداهية بحزمه وحكمته وينفذ إلى أغراضه الخبيثة بنور بصيرته كما سترى فى قصة الصخرة فإن شدة دهاء هذا الرجل اليهودى قد تغلبت على فطنة عمر ويقظته فظل يعمل بكيده فى السر والعلن إلى أن قتل عمر، ومن ثم انفجر بركانه بالخرافات والأساطير التى لم يسلم منها كتاب فى التفسير والحديث والتاريخ

قصة الصخرة

لما افتتحت إيلياء وأرضها فى عهد عمر فى سنة ١٦ هـ ودخل عمر بيت المقدس وجد على الصخرة زبالة عظيمة كان النصارى من الروم قد ألقتها عليها معاندة لليهود الذين يعظمون الصخرة ويصلون إليها، فأخذ عمر ومن معه فى تنظيفها، وبينما هم فى عملهم إذ سمع عمر تكبيراً من خلفه فقال ما هذا ؟ فقالوا : كبر كعب وكبر الناس بتكبيره ! فقال على به. فأتى به، فقال يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبى منذ خمسمائة سنة ! ! قال وكيف ؟ قال : إن الروم أغاروا على بنى إسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ... إلى أن وليت — فبعث الله نبيا على الكنانة فقال أبشرى أو يرى شلم عليك الفاروق ينفيك مما فيك (١)

ولما فرغوا من تنظيف الصخرة قال عمر لكعب : أين ترى أن أبنى مصلى المسلمين ؟ فقال : ابنه خلف الصخرة — أى أن تكون الصخرة قبلة — فقال له عمر: ضاهيت والله اليهودية يا كعب. وفى رواية أخرى، خالطتك يهودية يا ابن اليهودية وقد رأيتك وخلقك نعليك ! ! أبنيه فى صدر المسجد . فبناه فى قبلى المسجد — وهو الذى يسميه كثير من العامة اليوم الأقصى، والأقصى اسم المسجد كله

وظلت الصخرة مكشوفة فى خلافة عمر وعثمان وعلى ثم كذلك فى إمارة معاوية وابنه وحفيده . فلما كان زمن عبد الملك ابن مروان بنيت القبة على الصخرة . وقد تم بناؤها وعمارة المسجد الأقصى فى سنة ٧٣ هجرية وكان السبب فى ذلك على ما رواه صاحب (مرآة الزمان) : أن عبدالله بن الزبير كان قد استولى على مكة وكان يخطب فى أيام عرفة ومقام الناس بمكة وينال من عبد الملك ويذكر مساوئ بنى مروان ويقول : إن النبى لعن الحكم وما نسل منه وأنه طريد رسول الله ولعينه.. وكان يدعو الناس إلى نفسه وبلغ ذلك عبد الملك فمنع الناس من الحج فضجوا فبنى القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج ويستعطف قلوبهم.. وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤوسهم

يهود اليمن عن هذا البلد الإسلامى إلى إسرائيل فلتلتفت إلى وضعية يهود اليمن فى إسرائيل وما خلقوه لأنفسهم والدولة اليهودية من متاعب أصبحت تؤلف مشكلة داخلية من النوع العويص . ولا ريب أن هذه التدابير البعيدة المدى التى اتخذتها القيادة الصهيونية العليا لنقل يهود اليمن إلى إسرائيل تتوخى أهدافا سياسية واقتصادية معينة سنحاول أن نتعرف على دخائلها من سميم المصادر اليهودية والأجنبية المتوفرة لدينا

نيويورك — الكلام صلة — عمر هايم

(١) ارجع إلى الجزء الرابع من تاريخ الطبرى لتجد من خرافات كعب الأحبار وأساطيره